توظيف الموروث الشعبي في رواية سكاكر البرجس للقاص سالم صالح سلطان

مدرس مساعد

فنار خليل مجيد الحامد

ملخص البحث

لقد تمكّن توظيف الموروث الشعبي في رواية سكاكر البرجس من نقل صورة المجتمع في مدينة الموصل وبطوائفه وديانـاته المتعددة عن طريق بعض العادات الاجتماعية والشـعائر والطقوس الدينية التي يمارسها أبناء هذا المجتمع ومن خلال الربط بـين ماضـي وحاضـر ومستقبل المدينة .

Employment of the popular genetics in the novel

sky scrapers

M.M.Fanar Khalil Majeed Al-Hameed

Research Summary :

The local folklore of Mosul had been used very clearly by the author in " Skakir Al-Barjus" novel by embodying the real vision in Mosul through all his sects and different religions traditions , rites and religious ceronemies that the people of this nation practice and through linking past and present of this city .

مشكلة البحث :

تكمن في كيفية توظيف الموروث الشعبي من خلال الرواية .

هدف البحث :

يهدف البحث الى توظيف الموروث الشعبي في رواية سكاكر البرجس لسالم صالح سلطان .

أهمية البحث :

تتجلى اهمية البحث إبراز عناصر التوظيف في هذه الرواية ومعرفة ما يشغله كل نـوع مـن أنواع التوظيف في الرواية .

هيكلية البحث :

- **التمهيد**
  - مدخل الى مفهوم الموروث والحكاية الشعبية
  - سالم صالح سلطان (سيرة حياة)
- **المبحث الاول :**

توظيف الشخصية الشعبية

- **المبحث الثاني :**

تقنيات توظيف الموروث

- **الخاتمة :**
- **هوامش البحث ومصادرهُ**

المقدمة :

إنّ الهدف من كتابة هذا البحث هو التعرف على أنواع التوظيف في رواية سكاكر البرجس للروائي سالم صالح سلطان، وتبرز أهمية البحث في محاولة معالجة وتحليل أنواع التوظيف من خلال الاستشهاد ببعض النصوص التي لها صلة بالرواية، وقد إنقسم على مقدمة وتمهيد والسيرة الذاتية للروائي سالم صالح سلطان ومبحثين وخاتمة، تناول التمهيد مفهوم التوظيف لغةً واصطلاحاً، ومفهوم الحكاية الشعبية بوصفهما عنصرين رئيسيين في الرواية والسيرة الذاتية للقاص سالم صالح سلطان وبشكل موجز ، وجاء المبحث الاول بعنوان توظيف الشخصية الشعبية (عبد برجس)؛ ليعبر عن الرواية وبطلها بشكل موجز ، أمّا المبحث الثاني فقد حمل عنوان تقنيات توظيف الموروث، إذ عالج (التوظيف الاسطوري) الذي إعتمد على الروايات المختزنة في ذاكرة الشخصية، أمّا (التوظيف الإجتماعي) فقد تطرق الى الشخوص والعادات الواردة في الرواية، في حين تناول (التوظيف الثقافي) الحديث عن بعض الأعياد والمراسيم الدينية المتعلقة باليهود والمسيحيين وغيرهما من أهل المدينة (مدينة الموصل).

أمّا منهج البحث فقد إعتمد على تناول الرواية كمصدر أساس في هذا البحث وتحليل مضامينها الواردة في النصوص ضمن هذا البحث وتعزيزها ببعض المراجع المساندة حيثما إقتضى البحث ذلك والمنشورة على الانترنت مع بعض الدوريات الأكاديمية التي أفادت البحث في تعزيز الجانب التحليلي .

تتقدم الباحثة بالشكر الجزيل للأستاذ المساعد الدكتور (علي أحمد محمد العبيدي) التدريسي في مركز دراسات الموصل الذي ساند الباحثة بمقترح عنوان هذا البحث وتزويدها

بنسخة هذه الرواية والاستفادة من دراسته السابقة التي تناولت (الإحالة الرمزية في رواية سكاكر البرجس) والتي أفادت البحث في تعزيز بعض جوانبه .

كما تتقدم الباحثة بالشكر والامتنان للأستاذ المساعد الدكتور (محمد نزار الدباغ) التدريسي في مركز دراسات الموصل لمساعدته الباحثة في ما يخص الجانب التاريخي من خلال تزويدها بمصادر ومعلومات تاريخية عن مدينة الموصل والتي كان لها دورٌ كبيرٌ في تحليل بعض نصوص الرواية .

التمهيد :

اولاً: مفهوم التوظيف

التوظيف لغةً: مِن وظَّف الشي على نفسه : ألزمها إياه[١]، وأمّا إصطلاحاً: وظَّف رأسَ ماله: إستثمره ونمَّاه[٢]، ويكتسب مفهوم التوظيف في الاعمال الادبية من قصة أو رواية بُعدين :

الاول: تسجيلي، يكتفي بإحياء التراث ومحاولة بعثه تمجيداً للماضي واعتزازاً بهِ.

الثاني: توظيفي، يستلهم التراث ليكون أداة فعالة في التعبير عن الواقع المعاصر أو المعاش.

يمكن توضّيح مفهوم التوظيف بصورة أكثر في القصة أو الرواية ممّا له صلة بالموروث بأن الكاتب يعمد الى نقل فكرته المعاصرة الى العناصر التراثية ؛ فعملية التمازج التي يقوم بها الكاتب ممّا يأخذهُ من التراث والواقع المعيش هي التي توضّح لنا بصورة جلية معنى التوظيف .

التوظيف إذاً مصطلح نقدي يدل على استثمار التراث في الأعمال الأدبية وإمدادها بمواقف وشخصيات تراثية تشع بالحيوية والايحائية **(لقد تآلفت المدينة مع عبد برجس كما تآلف هو معها ، وغَدا مَعْلماً يؤثر على حقائق يفتقدها الكثيرون ، فمنذ أنّ نبت زغب المدينة طرياً ، كان يعج ببانوراما من قوميات وأديان متآلفة ، فقرى النصارى واليزيدية والشبك والتركمان تسّور المدينة من جهاتها الاربعة ، وتمنحها نفساً وحركة قلما وُجدت في مدينة أخرى ، كان هو مع الجميع بقلبٍ واحد)**[٣].

هنا نَجد أنّ الكاتب قد وظَّف شخصية تراثية معروفة لدى الشارع الموصلي قديماً ونقلها لنا في إطار حداثي من خلال روايته المعاصرة، فقد إستخدم الكاتب هذهِ الشخصية التراثية الموصلية في محاولة منه لنقل فكرة أو موضوع حاول نقله إلينا بصورة غير مباشرة؛ (فعبد برجس) كان يشع بالحيوية والحركة في تنقله بين أحياء وشوارع المدينة لكسب قوت يومه ويرى أشياء كثيرة قد لا يراها غيرهُ فيعمد في بعض المواقف الى استخدام الإيحاء أو

---

(١): معجم المعاني ، مادة (وظّف).

(٢): م.ن ، مادة (وظّف) .

(٣): رواية سكاكر البرجس / سالم صالح سلطان / ١٩ .

الاشارة لمن حوله في محاولة منه لإيصال رسالة أو عبارة أو مضمون لشيء واقعي يحصل أمامه وأشياء اخرى قد تحصل في المستقبل دون اللجوء الى الكلام، ولعل هذا فيه شيء من الرمزية[١]

في قول الروائي **(ورغم الغبرة الداكنة التي وسمته بها الشمس لكن خيط الحزن والهم الأبدي ، ينضح من نظرته ، ومن لهاثهِ المفزوع في اللحاق بمن يعطيهم سكاكره ، قلقاً ، متوجساً كأن الأرض ستخسف بهِ والناس غداً)** [٢].

ثانياً : مفهوم الحكاية الشعبية

تُعد الحكاية الشعبية **(خرافة لا تحمل طابع القداسة وتلعب الالهة ادوارها وتقف عند حدود الحياة اليومية والأُمور الدنيوية)**[٣] ولعلّ أبرز مثال يقودنا على ما تقدم من مفهوم الخرافة كما أشار اليها كاتب الرواية في نص طويل نختزله بحكايات بعض النسوة اللاتي يذهبن الى إحدى حمّامات الموصل القديمة عصر كل يوم خميس يتداولن الحديث داخل الحمّام في جوانب تتعلق بحكايات وممارسات النساء الاجتماعية **(تذكرت العنود موعدها مع رمزية الندو، للذهاب الى حمام (عبيد آغا) عصر كل خميس تحمل عنها بقجة الملابس، وتفرش البساط على الدكة، ثم ينزعن ثيابهن، وتقودها الى داخل الحمام المفعمة بالبخار .. تقص عليها مقالبها مع نساء باب الجديد، فتضحك حتى تتعب ويرتفع ضغط دمها)**[٤].

السيرة الذاتية للروائي سالم صالح سلطان :

يُعد الروائي سالم صالح سلطان من الشخصيات الأَدبية التي تتمتع بذائقة أدبية ، ولد في مدينة الموصل، عام ١٩٦٤، وينصب عمله على النقد، يقول عنه أ.د. إبراهيم العلاف بأنهُ: إنسان إيجابي مع أنه ناقد كبير لمجتمعه .

نشر اولى نتاجاته الأدبية بداية الثمانينات من القرن الماضي ، وكانت خاطرة بعنوان (بيضاء) نشرت في جريدة الحدباء الموصلية، كما أنهُ عضوٌ في رابطة منتديات وإتحادات أدبية موصلية وعراقية منها (رابطة الأدباء الشباب في الموصل)، كما أحرز العديد من الجوائز القطرية منها الجائزة القصصية الثالثة في مسابقة جامعة الموصل عن قصتهِ (عود

---

(١): توظيف التراث الأدبي في القصة القصيرة في الجزيرة العربية / حصة بنت زيد سعد المفرح / رسالة ماجستير غير منشورة/ قسم اللغة العربية وآدابها / كلية الآداب / جامعة الملك سعود /السعودية /١٨/٢٠٠٥.

(٢): الرواية / ١٧ .

(٣): الأنماط الأسطورية وإنزياحاتها في شعر التفعيلة في سورية / غسان لافي طعمة / أطروحة دكتوراه غير منشورة / قسم اللغة العربية / كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة البعث / سورية / ٢٠٠٩ / ٣ .

(٤): الرواية / ٦١ -٦٢ .

البخور) وإحرازه الجائزة القطرية الثالثة على مستوى الشباب في العراق عن قصة (سفر الحب الرمادي)[١].

لهُ مؤلفات أدبية عديدة منها :

- قصة (سفر الحب الرمادي) مجموعة مشتركة مع الفائزين بالجائزة الاولى للقصة القصيرة – بغداد– العراق– اتحاد شباب العراق ١٩٩٣ .
- إكليل الملك – مجموعة قصصية ، الإتحاد العام للأدباء والكتاب/نينوى/١٩٩٦ .
- الأسوار البعيدة، مجموعة قصصية، دار الشؤون الثقافية العامة / ٢٠٠١ .
- سكاكر البرجس – منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين / فرع نينوى / ٢٠٠٧ .

المبحث الاول : توظيف الشخصية الشعبية

تُعدُّ رواية (سكاكر البرجس) للروائي سالم صالح سلطان من الروايات الموصلية العريقة التي كان لها دورٌ كبيرٌ في تصوير الحياة الإجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها في مدينة الموصل ، وهذا ما أكدّهُ كاتب الرواية في مقابلة تلفزيونية أُجريت معه بقوله (أستطيع أن أقول وبلا مبالغة أَنّ سكاكر البرجس هي الرواية الموصلية الاولى التي نقلت كاميرا فصولها في شوارع وأزقة وأسواق الموصل وإقتربت من هموم ومعاناة وظروف المدينة عبر موروثها القديم وحاضرها الصاخب ، ومستقبلها الذي تمنيتهُ لها كبيراً وواسعاً وينطق بالكثير. فالرواية مزاوجة بين الماضي والحاضر) [٢] ، فهذه الرواية تعبر عن المستوى الفني والفكري المتقدم لكاتب الرواية والذي يُعد شهادة بليغة عن المستوى الذي وصلتهُ الرواية التي عبرت عن موقف وطني وقومي أرادهُ الكاتب من خلال الإلتحام بين الفن والحياة ، وقد جاء إختيارهُ للشخصية الرئيسية وهو (عبد برجس) تأكيداً لهذا الموقف الوطني وهذه الرؤى الذاتية، فيتحدث الكاتب عن هذه الشخصية بنص يقول فيه (**عبد برجس يعيش برؤى ذاتية ، ونظرة خاصة راح بموجبها يمارس حياته الغريبة والشاذة بعيون الغير**) [٣] ، وقد ذكر الكاتب (**أَن شخصية عبد برجس كانت من الشخصيات المعروفة على نطاق واسع في البلدة القديمة**

---

(١): الإحالة الرمزية في رواية سكاكر البرجس للقاص سالم صالح سلطان / علي أحمد محمد العبيدي / مجلة دراسات موصلية / مركز دراسات الموصل / جامعة الموصل / ٢٠١٨/ العدد ٤٧/ ٦٣-٦٤ .

(٢): WWW.YOUTUBE.COM حوار مع الروائي سالم صالح سلطان / أُجري معه من خلال برنامج (أحلى الكلام) حاورهُ عبدالناصر العبيدي / لقناة نينوى الفضائية / وحول نص المقابلة الكامل نجدهُ مرفوعاً على اليوتيوب بتاريخ ٦/٧/ ٢٠١٨ .

(٣): الرواية / ٢٩ .

(الجانب الأيمن) في الموصل)[١] وهي إشارة مهمة تدل على ما كان يتمتع به عبد برجس من شعبية كبيرة بين أَهالي الموصل القديمة الذين يصبحون بهِ ويغادرهم عند مغرب كل يوم .

في بحث نشرتهُ الكاتبة السعودية (أبرار الزهراني) عن شخصية عبد برجس قالت في عرض موجز للتعريف بهذه الشخصية **((عبد البرجس عراقي يعيش وحيداً، ويدور كل يوم في شوارع الموصل يوزع الحلوى لمدة (٤٠) سنة على الناس مجاناً))**[٢] .

يُلحظ من خلال العبارة التي ذكرتها الكاتبة أنّ عبد برجس كان (يعيش وحيداً) وهي تأكيداً لميله الى نمط من حياة خاصة رُسمت له من المجتمع ، أو رسمها هو لنفسه يحيطها طابع من العزلة والحزن واليأس حينما يخلو بنفسه ، وهذا ما أكده أيضاً كاتب الرواية في نصه السابق ، وقول الكاتبة أَنّ عبد برجس كان يقوم بتوزيع الحلوى على الناس ولمدة (٤٠) سنة ما يؤكدهُ نص واضح للروائي بقوله **((إعتاد على ذلك منذ أربعين سنة خلت))** [٣] عند حديثه عن قيام عبد برجس بالتنقل بين أحياء وأزقة الموصل وتوزيعه الحلوى على الناس ، وأن هذا التوزيع كان يشمل كل الطوائف المسيحية والأيزيدية والمسلمة ، وإنّ لكل طائفة يوماً يقوم بتوزيع الحلوى عليهم ولا يسمح لأبناء الطوائف الأخرى بأخذها منهُ .

هذا وإن دلّ على شيء إنما يدل على وعي كامل لهذا الشخص بما يقوم به ، وهذا يخالف نظرة بعض الناس لهُ **((إذ عدهُ البعض مجنوناً بطريقة هادئة ، وجعله آخرون مجذوباً أو درويشاً من الصفوة التي يختارها الله في كل زمان ومكان))**[٤]

أمّا قول الكاتبة في بحثها أن عبد برجس كان يوزع سكاكره على الناس مجاناً فهو غير دقيق ، فقد ذكر الروائي نصوصاً تدل على أن عبد برجس كان يوزع السكاكر على الناس ولكن ليس مجاناً كما ذكرت ، ففي إحدى النصوص التي ذكرت في الرواية ماجاء على لسان عبد برجس نفسه يقول **((ما يعطيني الناس أموالاً أُعيده سكاكر مؤثثة بالخير، وجامعة إياهم على المحبة))**[٥].

هذا يؤكد تأكيداً قاطعاً أَن عبد برجس يأخذ من الناس أَموالاً مقابل سكاكره ولكنها كانت رمزية الى حد بعيد ، ولهذا نجد عبارة (يوزع السكاكر) هي الواردة أكثر وليس (يبيع السكاكر) ، نسبة الى قلة الأموال ، التي كان يتقاضاها منهم ، وكذلك تحويل هذه الأموال الى

---

(١): WWW.YOUTUBE.COM حوار مع الروائي سالم صالح سلطان / أُجري معه من خلال برنامج (أحلى الكلام) حاورهُ عبدالناصر العبيدي .

(٢): http : // twitter.com/theabrarz/status أبرار الزهراني /٩سبتمبر /٢٠١٦ .

(٣): الرواية /٩ .

(٤): م.ن /٢٩ .

(٥): م.ن /٩٣ .

سكاكر جديدة يقوم (بتوزيعها) عليهم مرة ثانية . ومما يؤكد هذا القول أيضاً (أي أن عبد برجس كان يأخذ الأموال من الناس مقابل السكاكر التي يعطيها إياهم) ما جاء على لسان إحدى الشخصيات وهو حنوشي – وهو شخص يحقد على عبد برجس لأنهُ يظنهُ غنياً جداً بسبب الأموال التي يأخذها برجس من الناس مقابل السكاكر – فيقول : ((**محظوظ عبد برجس . آه لو أعلم ماذا يعطي هذا المعتوه للناس حتى يحصل على كل هذا المال ؟**)) [١] .

أمّا وفاة هذا الشخصية الشعبية الموصلية فقد كانت سنة (٢٠٠٨) كما أَكّد ذلك كل من الكاتبة (أبرار الزهراني) في بحثها السابق الذكر ، وكذلك ما ذكره الدكتور علي العبيدي – الذي تعرّض لهذه الشخصية أيضاً بدراسة منهجية تختلف عمّا تناولناه في بحثنا هذا – فقد أكد الدكتور علي أنّ وفاة عبد برجس هي سنة (٢٠٠٨) ، وقد أنهى حادث تصادم بسيارة على الطريق حياة هذه الشخصية التي كانت محط جدل ودراسات عديدة تناولتها من جوانب مختلفة منها دراستنا هذه ، وقد أشار الروائي الى هذا الحادث بقوله في نص الرواية ((**ينشر السكاكر عليهم تتعالى الأصوات من كل الجهات. حفيف لامس أُذنيه ، شيء صلب فجر الدم حاراً من يافوخه إنساح مسرعاً ، ليبلل جدائله ويلطخ جبهته ، عند الغروب لم يكن عبد برجس منتصباً عند الجسر ، بل بقعة من دم تتشكل على مكان وقوفه**)) [٢].

المبحث الثاني : تقنيات توظيف الموروث

إنّ الموروث لغةً : وَرِثَ يَرِثُ : ورثاً وإرثاً ووراثة ، فهو وارث ووريث ، والمعقول موروث[٣] ، والموروث إصطلاحاً : ورَّث العادات والتقاليد من جيل الى جيل[٤] ، وذكر ابن منظور أنَّ مصدر تصريف الاسم لــ (ورث) فهو الوِرث والإرث والوِرَاث و الإرَاث والتراث واحد [٥].

الذي يهمنا هنا أنّ ابن منظور قد إشتق من الفعل (ورث) مصطلح التراث والذي يرتبط إصطلاحاً بالموروث لتجانس الإسمين في المعنى والمضمون ، وعلى هذا فإن شخصية عبد برجس يمكن عدّها من الشخصيات التي أثَّر فيها الموروث القديم للمدينة ؛ لما كان يحيطهُ من أساطير وعادات إنعكست على شخصيته ، وبهذا يمكن أن نعدهُ البطل لهذه المدينة ، وهناك رموز ودلالات عديدة على ذلك منها قول الروائي ((**يفاجئك عبد برجس في النظرة**

---

(١): الرواية / ٥٤ .

(٢): م.ن /١٣١ .

(٣): معجم القاموس المحيط / محمد بن يعقوب الفيروزأبادي/ مادة (وَرِثَ) .

(٤): معجم لسان العرب / ابن منظور / مادة (وَرِثَ) .

(٥): م.ن / مادة (وَرِثَ) .

الاولى ، كنصب تيأس في إستذكار الى أي حقبة زمنية يعود ، بهيئته الاسطورية الغريبة كأحد نُسّاك البوذيين)) [١].

جاء التوظيف الأُسطوري في هذه الرواية من حيث أنهُ يمكنها إعطاء مفهوم بسيط ودقيق للأسطورة على أنها **((قصص خيالية وحكايات لا منطقية تتوارثها الأجيال إستخدمها الإنسان قديماً لتفسير الظواهر الكونية والكوارث الطبيعية ، حيث أن لكل ظاهرة أو نشاط يقوم به الإنسان قديماً آلهة خاصة ينسجون حولها قصصاً خيالية خارقة قد تكون في هيأة حكاية خرافية للعظة))**[٢] ، ومثالنا على ما تقدم إن عبد برجس كان لديه تنبيهات وإشارات يقدمها للناس أو لسكان المدينة يعظهم وينبههم الى ما سيؤول اليه حال المدينة كأننا به قد كان يعيش حالة حالمة من الرؤى تنبأ من خلالها الى الواقع الذي سيصل إليه حالة المدينة .

يقول الروائي في إطار حديثهِ عن عبد برجس وصديقهِ يزدان **((بينما ما يزال وجه عبد برجس يقرأ أقسى حالات التوتر والفزع تحت وطأة رؤى ترعد أطرافه ، وتعتم كل منافذ الضوء أمامه ، لم تبرح الصورة مخيلته بل توترات ثقيلة بأشكال همجية ، الجنود أنفسهم ، ومعهم أشخاص باللباس العربي يهم أحدهم بإغراق يزدان في برميل نفط ، بينما يحاول هو الإفلات بإعياء شديد وعندما تلاشت فقاعات الهواء من سطح البرميل صرخ فرحاً ، موجهاً كلامه نحو الجنود : look, look لقد قضيت على الارهاب))** [٣] ، وقد وظّف الروائي بعض الظواهر المرتبطة بالطبيعة بما تحملهُ من إشارات ودلالات حسب نص الرواية وتأثير بعض هذه المظاهر الطبيعية في شخصية الروائي الرئيسية وهو عبد برجس ، فيقول الروائي في هذا الاطار **((داعبته النسمات النيسانية وسط إلتماع نور الشمس . النهر يجري بطيئاً ينسل هادئاً من جبال الشمال ويدخل المدينة محدوداً ترتكن الزوارق على ضفتيه غافية ، تتناجى مع الأضواء المنعكسة من المقاهي والكازينوهات كمجرات متألقة ، ويبقى النهر خزانة الأساطير وسر أجمل ما فيه أنه سر المدينة وقلادتها التي ترصع جانبيها كانت لرائحته سحر يهدئ من أفكار عبد برجس ، فيجلس ساكناً))** [٤] .

كاتب الرواية هنا قد وظّف عنصراً من عناصر الطبيعة وهو النهر بإعتباره رمزاً من رموز المدينة لبيان تأثيره على نفسية عبد برجس ، وهذا حال أغلب الكتّاب في استخدامهم العناصر الطبيعية سواء كتّاب نثر أم شعر ، فالقمر يُعد **((في شعر الكتّاب المحدثين رمزاً من**

---

(١): الرواية / ١٧

(٢): WWW.Kabbos.com / مفهوم الأسطورة / عطية أبو ظافر / دراسة بقلم الكاتبة منشورة على الموقع الالكتروني آنف الذكر .

(٣): الرواية / ٦٩ .

(٤): الرواية / ١٢ .

الرموز التي تمتزج مع الطبيعة بوصفه جزءاً من مكوناتها ونجد أبرز خصاله ضوءهُ الأبيض المتلألئ في عنان السماء في الليالي حالكة السواد)) [١].

في إطار حديثنا عن توظيف بعض عناصر الطبيعة في اطار أُسطوري نجد أن **((فكرة الخليقة وفكرة الطوفان تعدان من الأساطير التي وصلت إلينا من خلال الإصحاحات الاولى من سِفر التكوين في التوراة))** [٢] . **((أتمنى لو تنفع اليهود سكاكر عبد برجس إنهم بحاجة الى عصى موسى (ع) لتمحق دهاءهم المكين))**[٣]، والكلام هنا لهُ دلالة تربط بين قصة الطوفان التي وردت في التوراة كما ورد ذكرها في الرواية أيضاً وبين عصا موسى التي ترتبط بهِ بوصفهِ من أنبياء بني إسرائيل ، وهنا يتضح لنا تأثير كلا القصتين في فكر الروائي الذي إستمد من الجانب الأسطوري لهما مالهُ صلة بالعادات والممارسات اليهودية التراثية في مدينة الموصل .

كذلك نجد أنّ **((توظيف الأُسطورة والرمز يحمل إطاراً لمضمون عصري حضاري برؤية فنية معاصرة كانت وراءه أسباب متعددة التحول من الدين الى القومية في الحياة السياسية للعصر حيث أعطى أهمية للتراث القديم على أنهُ جزء من تراث الامة بما فيه من ميثولوجيا إذ إتخذت أمثلته الأسطورية رموزاً للحياة والموت لدى الشعراء وكتّاب القصة القصيرة))** [٤] ، وهذا يقودنا الى مسألة الرمز وتوظيفه الأُسطوري ؛ إذ عُدَّ عبد برجس رمزاً للمدينة بما يحملهُ من صفات جسّدها كاتب الرواية في تحويله من مجرد شخص يعرفهُ عامة أهالي البلدة القديمة الى بطل قومي لاسيما في اواخر أيامه التي تزامنت مع ما مرَّ به البلد من أحداث جسام وتحديداً ما بعد (٢٠٠٣) **((رفع بصرهُ الى الحائط المطرز بصور لهُ مع أُناس يحتضنونه بمحبة ، صورة لهُ مع عالم إنكليزي وأخرى مع أثاري فرنسي وثالثة مع سائح ألماني تجمعهم إبتسامة تتحدى الحقد وتزيل أمصار الكره القديمة))** [٥] .

---

(١): القيمة الاسطورية للقمر في شعر سلفيا بلاث / سهير نافع عبدالعزيز شايع / مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب / جامعة الأنبار / الإصدار الخامس /٢٠١١/ ٣٢ .

(٢): الأسطورة في بلاد الرافدين – دراسة في الفكر الاسطوري الملحمي في الثقافة السومرية والأكدية / مازن محمد حسين / مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية / مجلد ٦/عدد٤/مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية /جامعة بابل / عدد خاص بالمؤتمر الوطني للعلوم والآداب / ٢٠١٦/ ٣٠٥ .

(٣): الرواية / ١٧

(٤): www.m.ahewar.org : تاريخ التوظيف الاسطوري في القصة العراقية / محفوظ نجيب / دراسة في موقع الحوار المتمدن (العراق) .

(٥): الرواية / ٣٨ .

في مفهوم آخر للأسطورة نجد أنها ((**تروي قصة مقدسة وحادثاً وقع في زمن البدء ؛ إذ إن الأساطير تنبعث من حاجة دينية عميقة وتوق أخلاقي وإنضباطاً وتحديات في صبغة إجتماعية**)) [١] .

يقودنا الكلام المتقدم الى أنّ عبد برجس كانت لهُ نزعة أو صبغة دينية – صوفية مع إلتزام خلقي ، ويظهر هذا الأمر جلياً في كلامهِ وتعاملهِ مع الآخرين لأن((**اللغة الصوفية لغة رمزية / مجازية ذات دلالات كثيرة قابلة لأكثر من تاويل تتميز بالتخيل والتمثيل والتشبيه ، لهذا فهي عينه بلاغية خصبة**)) [٢] ، وهذا مانلحظهُ في نصيين وردا في الرواية إرتبط بما عُرف عنهُ بكونه شخصاً مبروكاً ؛ إذ كان يرده بعض الناس من أجل فك عقدهم ، فكان يخصص كل يوم جمعة للقيام بعمل الرقية ، وهذا ما نلحظهُ مجسداً في النص الآتي : ((**خلال دقائق معلومة من عصر يوم الجمعة يتقاطر الناس حول بيت عبد برجس ، ويمتلئ الشارع بالنسوة والصبية ، وعندما يتعالى أذان المغرب يطل عبد برجس بهيئته المعروفة وعينيه القلقتين ، ووجههُ المبتسم ، مثقل بكيس سكاكرهُ ، بينما تحمل مردانه كيساً كبيراً وراءهُ يمد عبد برجس يدهُ الى الكيس ثم يرفع قبضته في الهواء ويصيح : (الله أكبر ، الله أكبر) ينثر ما أجادت كفه ، ثم يعيد الكرة والكرة ، فتتلقفها أيادي المحتشدين بلهفة ، كحمائم مرفوعة ، كان يتملكهُ إنّ هذه السكاكر تمر على الاوجاع فتشفيها وعلى الهموم فتزيلها ، تقرب البعيد وترد لهفة الملهوف**))[٣] .

كما عُرف عنه قدرته على شفاء الحيوانات (بإذن الله) كونه إنساناً مبروكاً ومن (أهل الله) كما يصفهُ الناس ، ويبين ذلك كاتب الرواية في حديث دار بينه وبين صاحب جواميس مريضة جاء اليه يطلب مساعدته في شفاء جواميسه فيقول:((**جواميسي ... جواميسي .. إنها تموت لم تذق شيئاً منذ أربعة ليال . خرج عبد برجس عليه بهيئته المألوفة . لم ينظر الى الرجل بل حدَّق بعيداً ، قال بصوت خافت : إشتري زجاجة زيت ، وقبل أذان المغرب إدهن ألسنتها**)) [٤] .

إنّ إنتقاء القاص للشخصيات الروائية مما لهُ صلة بالتوظيف الإجتماعي كان معظمه من الشخصيات البسيطة ، ولكنهم كانوا يحملون ما أُلِفوا عليه في حياتهم وعاداتهم وممارساتهم سواء في المنزل أو المحلة أو الشارع من خلال تمسكهم بكل التقاليد والأعراف المعروفة عند

---

(١): الاسطورة توظيف حضاري / تأليف قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والإجتماعية / دمشق / دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع / ٢٠٠٩ / ٢٣ .

(٢): نقد / تصوّف (النص – الخطاب – التفكيك) / شريف هزاع شريف / ٧٢ .

(٣): الرواية / ٧٦ .

(٤): الراوية / ٤١ .

الموصليين ، وهذا ما ذكره الكاتب وليد مال الله في مقالهِ **((بأنّ إنتقاء الروائي سالم صالح لشخوص هذه الرواية كانت عبارة عن عينات محلية فقيرة فجاء إختياره لشخصية عبد برجس على اعتبارهِ كان شخصاً بسيطاً وفقيراً فكان وجودهُ متوائماً مع إنتقاء هذه الشخصيات))** [١] .

لقد كان عبد برجس **((ظاهرة بارزة في التاريخ الإجتماعي لمدينة الموصل ورغم كونه غير منسجم مع واقعه ، أو أنّ المجتمع كان رافضاً لهُ لأسباب بايولوجية وإجتماعية ونفسية أو أنهم كانوا ينظرون إليه بوصفه كان يعاني من مرض عقلي أو مجنوناً))** [٢] وكثيراً من الأسوياء يدركون هذا الأمر ويتعاملون مع الحالات الاجتماعية بنوع من التسامح ، لماذا لا تنظف أسنانك ؟ لماذا لا تحلق لحيتك ؟ فكان تبريرهُ أنهُ لا جدوى من هذا الشيء ، فعبد برجس كان شخصية شغلت الناس وجعلتهم يؤلفون عليه القصص والروايات وحتى الأساطير .

لقد شغل عبد برجس نفسهُ بأهتمامات : منها أنهُ كان محباً للعديد من القوميات والمذاهب – كما أشرنا الى ذلك سابقاً وفي موضع آخر من البحث – فقد كان مهتماً بكل المذاهب والقوميات الى جانب اهتمامه بقوميته بوصفهِ مسلماً ، فنجد كاتب الرواية قد ذكر نصاً صريحاً إشتمل على العديد من القوميات وربط بينها بأسلوب بسيط وعفوي جداً وواضح للعيان لمن قرأ روايتهُ ، فنجد أن عبد برجس**((يشغل بصرهُ باليزيدي وهو يبحث عن معول جديد لأرضهِ ، والنصراني يلج مع زوجتهِ عيادة الطبيب أو شبكي يتبضع من دكاكين باب الجسر))** [٣] .

من خلال النص المتقدم نجد شغف عبد برجس بالايزيدية كقومية ودين وشخوص ، كيف لا ؟ وهم مكّون مهم من سكان محافظة نينوى ومحيط مدينة الموصل .

هناك إشارات أُخر تدل على هذه الاهتمامات منها على سبيل المثال : ذكره لمدينة سنجار – وهي أكبر مراكز تجمع الايزيدية في العراق والعالم – فضلاً عن أنه أتى على ذكر بعض الممارسات الاجتماعية المتعلقة بهذه القومية ، ونجده كان متأثراً بما يجدهُ عند الأيزيدي من حبهِ لأرضهِ .

أمّا نظرتهُ في النصارى فهي لا تقل عن الأيزيدية ، بوصفهم مكوناً قديماً بمدينة الموصل ، ومع هذا لا نجد في الرواية سوى بضع اشارات عن النصارى ، منها قيامهم

---

(١): الأنماط الاسطورية وإنزياحاتها في شعر التفعيلة في سورية / غسان لافي طعمه / ٣ .

(٢): https:/m.facebook.com عبد برجس هل كان مجنوناً / مدونة الاستاذ الدكتور ابراهيم العلاف / مجلة زهرة نيسان / العدد ٩٢ / كانون الثاني / ٢٠١٤ .

(٣): الرواية / ٨

ببعض الممارسات اليومية ، كعادة أي أُسرة في الموصل تعيش حياتها اليومية داخل البيت أو خارجهُ ممّا تحتاجه الأسرة كالتبضع والذهاب الى الطبيب أو أي حاجة أخرى ، ففي النص السابق الذكر من الرواية إشارة الى أن النصراني كان يذهب مع زوجته لزيارة الطبيب ، وهذه الزيارة لها جانب يرتبط بموروث هذا المكون فهم قد حافظوا على التقاليد الموصلية الخاصة بالمرأة وعدم كشفها على الطبيب الا بوجود زوجها أو شخص مرافق لها من أهلها أو أقاربها .

أمّا الشبك ، فهم قومية عريقة سكنت أطراف المدينة ، والعبارات الواردة في النص السابق من أنّ الشبكي كان يتبضع من دكاكين باب الجسر لهُ دلالة إجتماعية تتعلق ببعض ممارسات سكان مدينة الموصل .

من النصوص الأخرى التي لها صلة بالجانب الاجتماعي لمدينة الموصل ، يقول الروائي : ((**عند الضحى يصخب باب الجسر بالناس ، فيواجه عبد برجس صعوبة في تنقلهِ**)) [١] .

من خلال هذا النص نجد انّ هناك دلالات اجتماعية ترتبط بازدحام وصخب سكان هذه المنطقة عند الضحى وبداية بزوغ الفجر في توجه الناس الى السوق والباعة الى دكاكينهم وحوانيتهم ، وهذه الازدحامات تشكل مزيجاً من حالة اجتماعية يومية كانت تعيشها مدينة الموصل وهي جزء من التقليد الاجتماعي المرتبط ببعض الممارسات مثلاً نداءات الباعة المتجولين في الصباح لجذب الزبائن لشراء ما يحملونهُ من بضاعة .

هناك دلالات اجتماعية ترتبط بالموروث الديني عند مدينة الموصل والمتعلقة بمراسيم الجنائز ودفن الميت ، فكثير من أهل الموصل يتشاءمون من النظر الى (حفاري القبور) أو صانعي القطع الرخامية التي تكتب عليها بعض الآيات القرآنية مشفوعة باسم المتوفى وتأريخ الولادة والوفاة ، وهذا ما يؤكده النص التالي:((**التوابيت مرصوفة أمام المحل فتجذب عيون المارة ، وقد توترهم فيتحاشون النظر اليها ، يسرعون الخطى بعيداً عنها**)) [٢] .

كذلك ذكر الروائي بعض العادات الدينية لسكان يحملون ديانة أخرى غير الاسلام ويعيشون في مدينة الموصل وهم اليهود في إطار التوظيف الاجتماعي فيقول : ((**طوّق الغضب حنّوشي ، وتقدم نحوه يمسح بكفيه صدر عبد برجس ، كما يتمسّح اليهود بحائط المبكى**)) [٣] .

---

(١): الرواية / ٩ .

(٢): الرواية / ١٤-١٥ .

(٣): م.ن /١٧.

دلالة النص هنا أن شخصية حنوشي – وهو شخص كان يحقد على عبد برجس – تمثل رجلاً فقيراً يحاول أن يصبح غنياً بالإعتماد على بركات عبد برجس بوصفهِ شخصاً واصلاً حسب نظرهِ بقيامه بمسح كفيه بصدر عبد برجس ؛ والتمسح هنا يذكرنا بعادة اليهود حينما يتمسحون بحائط المبكى في فلسطين ولا نعلم لذلك دلالة إلا أنّ هذا المكون كان يشكل جزءاً من النسيج الاجتماعي للموصل القديمة ، أو لربما يكون حنوشي شخصية يهودية ! .

في جانب آخر ذكر الروائي عادات دينية للديانة المسلمة والتي تسكن على محيط المدينة القريب من النهر (نهر دجلة) باتجاه المنطقة المقابلة وهي قرية النبي يونس (عليه السلام) ، جاء في النص : ((**مئات من النوارس تطير فوق سطح النهر الذي برز منه رجال يسترون عوراتهم بالجلود وتنزف رماحهم دماء يظهرون تباعاً من أسفل الجسر يتعقبهم حملة طبول وأبواق حرب يتساقط الطير من ضجيجهم . رايات بيضاء وسوداء وخضراء تتقدم أئمة وعلماء دين تقطر لحاهم دموعاً . يأتون من الشمال والجنوب يتممون زيارتهم الأربعين للنبي يونس(عليه السلام)**))[١].

هنا نجد أنّ طيور النوارس تشكل جزءاً من الواقع الطبيعي لنهر دجلة الرابط بين ضفتي الموصل القديمة ومدينة نينوى الأثرية وقرية النبي يونس (عليه السلام) ، ولعلّ ما نجده من ربط جاء بهِ الروائي بين حركة هذه النوارس وعبور العديد من المستترين ممن يتوشحون الألبسة السوداء ما هم إلا جزءاً من مكوّن المدينة ويقومون بأداء شعيرة من الشعائر الدينية المعروفة لدى سكان الموصل وهي الزيارة الأربعينية لمقام النبي يونس (عليه السلام) .

أمّا الرقم (٤٠) الوارد في النص فلهُ دلالات ورموز تأريخية عديدة منها حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) نقلاً عن أبي ذر الغفاري وإبن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ((أن الأرض تبكي على المؤمن أربعين صباحاً)) [٢] .

أيضاً لهُ دلالة عند اليهود والنصارى ، منها قصة الفيضان التوراتية التي دامت أربعين يوماً والشعب العبراني الذي بقي في الصحراء (٤٠) سنة ، ويونان النبي عند النصارى وهو النبي يونس (عليه السلام) عند المسلمين الذي أخبر أهل نينوى بالدمار مالم يرجعوا ويتوبوا خلال (٤٠) يوماً فهنا نجد الربط بين زيارة الأربعين ومقام النبي يونس (عليه السلام) وهي دلالة هذا الرقم المقدس عند اليهود .

يُعد التوظيف الثقافي اقل المباحث من حيث عدد النصوص الخاصة به والواردة في الرواية ، وهي وإنْ وجدت تكاد تكون متداخلة مع التوظيف الاجتماعي ، كون شخصيات

---

(١): الرواية / ١٣ .

(٢): www.anaabaa.org زيارة الاربعين في معجم الرموز الشيعية ، شبكة النبأ المعلوماتية .

الرواية يغلب عليها البساطة والعفوية وهم من الطبقة الاجتماعية محدودة الثقافة . فهم يتعاملون مع بعضهم بالفطرة وما ورثوه من آبائهم وأجدادهم من عادات وثقافات أثرت على حياتهم وعلاقاتهم فيما بعد **((فالمرأة والشيخ والصديق والوطن ، كلها عناصر تمثل العلاقة العضوية في حياة الأديب وبالتالي هي تمثل ذاته ، فهي عناصر مكملة لبعضها البعض))** [١]، وربما قصد الروائي بالمرأة هنا **((مردانة))** التي يقول عنها **((لقد أحببت مردانة الموصلية لأنها علمتني الوفاء والتضحية وهي التي نَمتْ وترعرعَتْ في حبر قلمي ومشذاة فكري))** [٢]

لقد جعل كاتب الرواية من **((مردانة))** رمزاً للوفاء والتضحية ؛ ربما لكونها كانت تخدم عبد برجس بكل اخلاص وتفانٍ ، فهي كأمراة موصلية ضربَتْ وسطرَتْ أبرز عناوين الوفاء الذي ألفته نساء الموصل ، فيقول الروائي في نص يتحدث فيه عن تأثير **((مردانة))** في حياة عبد برجس بقولهِ **((تجعل من يوم الجمعة يوماً طيباً في حياة عبد برجس ، انه اليوم الوحيد الذي لا يذهب فيه الى السوق ، يتنفس البيت سحر الانوثة ، وهي تعمل كأنها في بيتها))** [٣] .

هذه الشخصية على بساطتها وانعدام دراستها ومعرفتها بأصول التعامل مع الاخرين لكنها بفطرتها استطاعت ان تجعل لها مكانة كبيرة عند عبد برجس ، وهناك مقطوعة سردية اخرى تبين ثقافة المرأة وانعكاسها في تعاملها مع أبنائنا فيما بعد واكسابهم عادات وثقافات تكون بداية لحياتهم ، فيقول الكاتب في اطار حديثه عن امراة تحمل طفلاً تقف به على حافة النهر **((تحث فطيمها على رمي بيضته المسلوقة والملطخة بالسواد في النهر))** [٤] ، وهنا نجد ان لهذا النص القصير دلالات عِدّة تعكس أفكار هذه المرأة وما كانت ترومهُ من تعليم ولدها رمي البيض في النهر ، فهو يدل بالدرجة الاولى على فصل الطفل عن أمه عند البلوغ واعتماده على نفسه في تناول الطعام العادي وترك الاعتماد على والدته ، كما أن البيض المسلوق يدل على الصلابة والقوة ، وفي هذا معنى يعكس رغبة عبد برجس – الذي كان يشاهد هذه المرأة مع طفلها وهما على حافة النهر – في استخدام هذه البيضة القوية بوصفها اداة للقضاء على ما يدور حوله فهي تجسيد على واقع الحال الذي كان يعيشه عبد برجس فيما مرت به المدينة من أحداث سنة (٢٠٠٣) كأنه يُشبَّه هذا البيض بالحجارة أو القذائف التي تُرمى على الطائرات كجزء معنوي أو انتصار لنفسه .

---

(١): www.youtube.com / حوار مع الروائي سالم صالح سلطان / أُجري معه من خلال برنامج (احلى الكلام) حاوره عبدالناصر العبيدي .

(٢): م.ن .

(٣): الرواية / ٦٥ .

(٤): م.ن . / ٧ .

الخاتمة :

في ختام هذا البحث لابد لنا من الاشارة الى مجموعة من أهم النتائج التي تم رصدها في هذا البحث ، نجملها بالنقاط الاتية :

١. تُعد رواية (سكاكر برجس) من الروايات المهمة التي عالجت العديد من مظاهر التوظيف الذي تنوع على مدار نصوص هذه الرواية ما بين روايات اعتمدت على الجمع بين الموروث والاسطورة بوصفهما عنصرين مهمين في بناء المعتقدات السائدة لدى أهل المدينة وأثرها على واقعهم المعاش وايمانهم بها .
٢. للموروث الاجتماعي حضور في الرواية من خلال الزيارات المتبادلة بين اهالي المدينة ضمن المدينة القديمة والقيام ببعض الممارسات والعادات الاجتماعية ، ويُعد هذا التوظيف هو الغالب في الرواية .
٣. التوظيف الثقافي ركّز على افكار الشخصيات وطبيعة حياتها البسيطة لاسيما مع مَنْ كان يحيط بعبد برجس ، أو من أثّر وتأثّر به كمردانة ويزدان وغيرهما من الشخصيات على أن هذا التوظيف يُعد الأقل من حيث عدد النصوص الواردة في الرواية .
٤. للروائي دور في بيان رأيه في احداث وشخصيات الرواية واستطاعت رواية سكاكر البرجس أن تكون حقاً كما وصفها كاتبها بأنها الرواية الموصلية الاولى التي نقلت كاميرا فصولها في شوارع الموصل ومحلاتها واقتربت من هموم ومعاناة وظروف المدينة في الربط بين موروثها القديم ومستقبلها الحاضر كأنه مزاوجة بين الماضي والحاضر والمستقبل .

مكتبة البحث

اولاً : المصادر

رواية سكاكر البرجس / سالم صالح سلطان / مؤسسة الواحة للنشر والتوزيع / العراق / الموصل / ٢٠٠٧ .

ثانياً : المراجع

١. معجم القاموس المحيط / محمد بن يعقوب الفيروز آبادي / تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي / بيروت / مؤسسة الرسالة / ٢٠٠٥ .
٢. معجم لسان العرب / أبو الفضل جمال الدين بن منظور / بيروت / دار صادر / ١٩٩٠ / مجلد ٢ .
٣. نقد / تصوّف (النص–الخطاب–التفكيك) ، شريف هزاع شريف/مؤسسة الانتشار العربي / بيروت / لبنان / الطبعة الاولى / ٢٠٠٨ .

ثالثاً : الدوريات

١. الاحالة الرمزية في رواية سكاكر البرجس للقاص سالم صالح سلطان / علي أحمد محمد العبيدي / مجلة دراسات موصلية / مركز دراسات الموصل / جامعة الموصل / ٢٠١٨ / العدد ٤٧ .
٢. الاسطورة توظيف حضاري / تأليف قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية / دمشق/ دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع / ٢٠٠٩ .
٣. الاسطورة في بلاد الرافدين – دراسة في الفكر الاسطوري الملحمي في الثقافة السومرية والأكدية / مازن محمد حسين / مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية / مجلد ٦ عدد ٤ / مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية / جامعة بابل / عدد خاص بالمؤتمر الوطني للعلوم والآداب / ٢٠١٦ .
٤. القيمة الاسطورية للقمر في شعر سلفيا بلاث / سهير نافع عبدالعزيز شايع/ مجلة جامعة الانبار للغات والآداب / جامعة الانبار /الإصدار الخامس / ٢٠١١ .

رابعاً : الرسائل الجامعية

١. الأنماط الأسطورية وأنزياحاتها في شعر التفعيلة في سورية / غسان لافي طعمة / أطروحة دكتوراه غير منشورة / قسم اللغة العربية / كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة البعث / سورية / ٢٠٠٩ .

٢. توظيف التراث الأدبي في القصة القصيرة في الجزيرة العربية / حصة بنت زيد سعد المفرح / رسالة ماجسير غير منشورة / قسم اللغة العربية وآدابها / كلية الآداب / جامعة الملك سعود /السعودية /٢٠٠٥ .

خامساً : المواقع الالكترونية على الانترنت

١. www.almaany.com معجم المعاني ، مادة (وظّف).
٢. www.anaabaa.org زيارة الاربعين في معجم الرموز الشيعية ، شبكة النبأ المعلوماتية .
٣. www.kabbos.com / مفهوم الأسطورة / عطية أبو ظافر / دراسة بقلم الكاتبة منشورة على الموقع الالكتروني آنف الذكر .
٤. www.m.ahewar.org : تاريخ التوظيف الاسطوري في القصة العراقية / محفوظ نجيب / دراسة في موقع الحوار المتمدن (العراق) .
٥. http://m.facebook.com عبد برجس هل كان مجنوناً / مدوّنة الاستاذ الدكتور ابراهيم العلاف / مجلة زهرة نيسان / العدد ٩٢ / كانون الثاني / ٢٠ .
٦. http://twitter.com/theabrarz/status أبرار الزهراني /٩سبتمبر / ٢٠١٦ .
٧. www.toutube.com حوار مع الروائي سالم صالح سلطان / أجري معه من خلال برنامج (أحلى الكلام) حاورهُ عبدالناصر العبيدي / لقناة نينوى الفضائية / وحول نص المقابلة الكامل نجدهُ مرفوعاً على اليوتيوب بتاريخ ٦/٧/ ٢٠١٨ .